

أحاديث رمضان ١٤٣٠هـ - الفوائد - الدرس (٢٧-٣١) : **أَوْلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْذَرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ**

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠٩-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

وقفه متأنية عند كلمة النذير فالنذير هو:

١ - النبي عليه الصلاة والسلام :

أيها الأخوة الكرام، مع فائدة جديدة من فوائد كتاب الفوائد القيم لابن القيم رحمه الله تعالى. هذه الفائدة نتحدث عن مجموعة آيات، من هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ **أَوْلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْذَرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ (٣٧)** ﴾

(سورة فاطر)

الوقفه المتأنية عند كلمة النذير، فالهنا العظيم يخاطب الناس يوم القيامة ويقول لهم:

﴿ **وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ** ﴾

. عمرتم عمراً كافياً كي تعرفوا الله، أحياناً نقول العام الدراسي تسعة أشهر كافية لاستيعاب المنهج، تسعة أشهر محاضرات، ووظائف، كتب، ومتابعات:

﴿ **أَوْلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْذَرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ (٣٧)** ﴾

، ما النذير ؟ أولاً قال بعض المفسرين: النذير هو النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه في أحاديثه الشريفة بين حقيقة الدنيا، بين حقيقة الموت:

((**وإن أكيسكم أكثركم للموت ذكراً، و أحمركم أشدكم استعداداً له، ألا وإن من علامات العقل**

التجافي عن دار الغرور، و الإجابة إلى دار الخلود، و التزود لسكنى القبور، و التأهب ليوم

النشور))

[ابن مردويه والبيهقي عن أبي جعفر المدايني]

فالنبي ذكر مصير الإنسان، قال:
**((أكثروا من ذكر هادم اللذات -
مفرق الأحباب - مشنت الجماعات))**
[أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]
**((عش ما شئت فإنك ميت، وأحب
من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما
شئت فإنك مجزي به))**
[أخرجه الشيرازي عن سهل بن سعد و البيهقي عن جابر]



رب شهوة ساعة أورتت حزناً طويلاً، ألا يا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ألا يا رب مهين
لنفسه وهو لها مكرم.
أيها الأخوة، النبي صلى الله عليه وسلم بأحاديثه، وبيانه، وبيان آياته، وذكر الموت، وما بعد
الموت، والصراط، والجنة، والنار، ودعوته صلى الله عليه وسلم إلى معرفة الله، والاستقامة،
والعمل الصالح، كان النبي صلى الله عليه وسلم هو النذير:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

(سورة الأحزاب)

فكل إنسان قرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، مثلاً مرّ النبي عليه الصلاة و السلام بقبر فقال:
"صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تنفلكم، هاتان الركعتان خير له من كل دنياكم".

٢ - أو القرآن الكريم:

وبعض العلماء قالوا: النذير هو القرآن الكريم، قدم لك مسبقاً مشاهد من يوم القيامة قال تعالى:
﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهِ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ * فَهُوَ
فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * فُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ ﴾

(سورة الحاقة)



هذا حال أهل الجنة:

النذير هو القرآن

أولم نُعمركم ما يتذكركم فيه من تذكر وج

يرى الدنيا بحجم غير معقول، فكلما تقدمت به السن صغر حجمها، أما عند الموت لا يراها شيئاً، لا يرى إلا العمل الصالح، لا يرى إلا طاعة الله، لا يرى إلا الاستقامة على أمر الله، فذلك: من دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة.

شيء آخر عندما يسافر الإنسان لعشرة أيام يلاحظ في اليوم السابع أنه يرسم خطة العودة، يقطع التذاكر، يشتري الهدايا، من واحد لسبعة هناك خط، و من ثمانية لعشرة خط ثان، فمن دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة.

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

فيا خجلي منه إذا هو قال لي أيا عبدنا ما قرأت كتابنا
أما تستحي منا ويكفيك ما جرى أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا
أما أن أن تقلع عن الذنب راجعاً وتنظر ما به جاء وعدنا

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ (١٦) ﴾

(سورة الحديد)

فسن الأربعين هو النذير.

من بلغ الأربعين ولم يغلب خيره شره فليجهز إلى النار:

بل إن هناك في الأحاديث حديثاً يقسم الظهر: " من بلغ الأربعين ولم يغلب خيره شره فليجهز إلى النار"، بالأربعين يوجد معصية؟ بالأربعين يوجد مراهقة؟ لذلك ورد:
" أحب ثلاثاً، وحبى لثلاث أشد، أحب الطائعين وحبى للشباب الطائع أشد، أحب المتواضعين وحبى للغني المتواضع أشد، أحب الكرماء وحبى للفقير الكريم أشد، وأبغض ثلاثاً، وبغضى لثلاث أشد، أبغض العصاة وبغضى للشيخ العاصي أشد، أبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر أشد، أبغض البخلاء وبغضى للغني البخيل أشد."

٤ — أو سن الستين:

وقال بعض العلماء: النذير سن الستين، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: " أعمار أمتي بين الستين والسبعين "



أحياناً عندي رغبة أن أسأل عن أخ كريم توفاه الله كيف توفي؟ يقال: والله صلى الظهر إماماً والعصر كان مدفوناً، هل كان يخطر في باله أن أجله انتهى؟ عالم جليل في الشام يحضر خطبة جمعة في الميدان توفي وهو في المسجد، هل يوجد إنسان يأتيه ملك الموت ويتوقع مجيئه في هذا الوقت؟ أنا أعتقد أنه لا يوجد إنسان إلا يتصور

أن يعيش كذا سنة والموت يفاجأ به، لذلك قالوا: من عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت. إذا قلت: غداً سأفعل كذا، أنت لا تعرف الموت، حدثني أخ عن عشرين سنة قادمة، عن سفر إلى بلد بعيد لخمس سنوات، ماذا سيفعل في الإجازات الأربعة بين السنوات

قال لي: سنة في فرسنا، سنة في إيطاليا، سنة في بريطانيا، سنة في إسبانيا، أتعرف على هذه البلاد، أرى متاحفها، أرى عاداتها، تقاليدها، أعود إلى الشام أقدم استقالتني، أشتري محلاً تجارياً أجعل فيه تحفاً، لأن التحف ليس لها علاقة بالتموين، أشياء لطيفة ولا تفسد، يكون أولادي قد كبروا وأنا آتي إلى هذا المحل مثل منتدى فكري، هو



مدير ثانوية، وأنا أسمع له، حكى عن عشرين سنة، أقسم لكم بالله تجاوز الحديث عشرين سنة، مساءً قرأت نعوته في اليوم نفسه، لا يوجد إنسان منا يقدر أن يقول: أنا سأعيش إلى الغد وأنا عندي قصص كثيرة، أخوة كرام والله ماتوا في ظرف عجيب، إمام كريم أحبه كثيراً وهو إمام جامع صلى الظهر إماماً والعصر كان مدفوناً، من أعد لهذه الساعة؟ أنا أقول لكم كلمة: الذكاء هو التكيف، ماذا أعددت لهذه الساعة؟ ساعة نزول القبر، بيت أربعة وصالون رخام، تزيينات، إطلالة جميلة، زوجة، أولاد، مكتب تجاري، سفر، نزاهات، ولائم، حفلات، من هذا كله إلى قبر، لذلك سن الستين نذير، بعد الستين قارب الأجل، وبعد السبعين، بعد الثمانين، لذلك الإنسان حينما يعصي الله في السبعين في الستين يكون أحقماً.



وقالوا: النذير المصائب، إنسان شارد، ساه لاه، أموره ميسرة، دخله كبير، من لقاء إلى لقاء، من اجتماع إلى اجتماع، من ندوة إلى ندوة، من حفلة إلى حفلة، من بلد إلى بلد، سفر، إقامة، مكانة اجتماعية، تأتي مصيبة، المصيبة رسالة، رسالة من الله أن يا عبدي لما لا تذكر الله ؟

من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر:

لذلك قال تعالى:

﴿ وَلَوْ أَن تَصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ أَنَّا رَسَلْنَا رَسُولًا فَتُنَبِّئَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾

(سورة القصص)

سميت المصيبة في هذه الآية رسولا أي رسالة، فاعلم علم اليقين أن ما من مصيبة تأتي إلا وهي رسالة من الله، حاسب نفسك، هناك مصائب إتلاف مال، معنى هذا أن هناك مالا حراما أتلّف، هناك مصائب تحجيم إهانة، معنى هذا أن هناك كبرا، هناك مصائب تقتير معنى هذا أن هناك إسرافاً، لا تحابي نفسك، لا تقل هذه مصيبة ترقية، يقولها غيرك عنك، أنت قل هذه مقابل ذنب ارتكبته، مشكلة عندي معنى هذا أن هناك خطأ، أو خلل:

((ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم، وما يغفر الله أكثر))

[أخرجه ابن عساكر عن البراء]

صارت المصائب نذيراً، ومن لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر. صار هو المصيبة.

الآن تأتي المصيبة يقول لك: الحياة صعبة، الظروف مريرة، الضغوط شديدة، لا أحد مرتاح، الدهر هكذا يوم لك ويوم عليك، هذا كله كلام كفر، لا يوجد دهر ولا حظ ولا يوم لك ويوم عليك هناك إله يعالج إنساناً:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) ﴾

(سورة الليل)

هناك تيسير و تعسير فقط، لا يوجد حظ، النساء أحياناً تقول لك: هذه البنت مسكينة ليس لها حظ، ما هذا الحظ؟ من سمح بالحظ؟ من أعطى الحظ؟ من منع الحظ؟ كلام ليس له معنى، يقول لك: الدهر قلب لي ظهر المجن، من هو الدهر؟ الدهر هو الله، هناك إله فقط بيده كل شيء.

٦ - الأعراض الصحية السيئة:

لذلك ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، النذير المصيبة، لفت نظر شيء آخر الله على كل شيء قدير، الله عز وجل أليس قادراً أن يجعل إنساناً في التاسعة والتسعين كالشاب تماماً ضغطه ثمانية على اثني عشر، أوعية مرنة، دماغ يعمل بنشاط، قلب لا يضعف أبداً، يمكن، كل شيء عند الله ممكن، هو وحده واجب الوجود وما



النذير الأعراض الصحية السلبية

سواه ممكن الوجود، يمكن أن يعيش إنسان مئة سنة كأنه في السابعة عشر من عمره؟ ممكن، تجد والله انزلاق فقرة لا أنام الليل، الثاني معه شحوم ثلاثية زائدة عن حدها، الثالث معه التهاب مفاصل، الرابع معه ضعف ذاكرة، كل الظواهر السلبية لصحة الإنسان صدق ولا أبالغ رسالة من الله، أن يا عبدي قد اقترب اللقاء، فهل أنت مستعد له؟ كنت أنا مدير ثانوية ببلدة فيها كهرباء محرك، الساعة الثانية عشرة ينتهي عمل المحرك لا يوجد كهرباء، قبل بخمس دقائق تطفئ الكهرباء خمس ثوان، أي هيبئ نفسك بعد خمس دقائق انتهاء الكهرباء، فكل سكان هذه البلدة الساعة الثانية عشر قبل خمس دقائق يهيبئ أغراضه حتى ينام، بعد خمس دقائق لا يوجد كهرباء، فكان إطفاء الكهرباء لعدة ثوان قبل الإطفاء النهائي هذا فيه حكمة بالغة، وكأن الأمراض والتغيرات الصحية التي تصيب الإنسان قبل الموت استعداداً للموت، كأن الله عز وجل يقول لك: أن يا عبدي قد اقترب اللقاء، فهل أنت مستعد له؟ فالنذير إذاً الأعراض الصحية السلبية.

والنذير موت الأقارب، تعيش معه ليلاً نهاراً فجأة صار ميتاً، فجأة غسلناه ثم إلى القبر، انتهى يلف، وأنا سأمشي على هذا الطريق، موت الأقارب أيضاً نذير، لذلك قال تعالى:

﴿ أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ (٣٧) ﴾

(سورة فاطر)



النذير هو القرآن، والنذير هو النبي العدنان، والنذير هو سن الأربعين، والنذير هو سن الستين، والنذير المصائب، والنذير الأعراض الصحية السلبية بعد الخمسين، والنذير موت الأقارب، وبعضهم قال: الشيب هو النذير.

((عبيد كبرت سنك، وانحى ظهرك، وضعف بصرك، وشاب شعرك فاستحي مني فأنا أستحي

منك))

[ورد في الأثر]

إلى متى وأنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول
تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقام شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

والحمد لله رب العالمين